③ خطابات مفتوحة الى :

□ د. اسماعيل صبرى عبد الله
□ كمـــــال رفـعت
□ خـالد محيى الـدين

بقلم : محمود أبو وافية

أوجه هذه الخطابات الثلاثة ، الى زملاء فى العمل الســـياسى ، اختلفت بيننا الطريق واتحدت بيننا الغاية ، وهى خدمة مصر وشعبها .

الرسالة الاولى الى الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط السابق وعضو تنظيم التجمع الوطنى التقدمى .

الرسالة الثانية الى السيد كمال رفعت احد الضباط الاحرار وواحد من رفاق عبد الناصر وسفير مصر السابق لدى المملكة المتحدة .

الرسالة الثالثة الى الصديق خالد محيى الدين مقرر تنظيم التجمع الوطنى التقدمى .

ولقد قصدت من هذه الرسائل أن أبدأ نوعا من الحوار الهادىء البنـــاء الذى يستهدف ترسيخ الديمقراطية وتوضـيح الرؤية أمام الراى العام ونحن فى بداية ممارسة جديدة للعمل السياسى .

الرسالة الاولى :

السيد الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله تتذكر لقاء تم بينى وبينك فى احدى قاعات مجلس الشعب فى يناير ١٩٧٥ وكان بمجلس معنا ثلاثة من كبار المسئولين وكنت انت وزيرا للتخطيط فى وزارة الدكتور عبد العزيز حجازى .

كانت قد حدثت ايامها حوادث شـغب فى محطـــة باب اللوق دبرها بعض الشيوعيين وقاموا بحرق اتوبيسات من ممتلكات الشعب .

وقلت لك بادئا الحديث : هل تسمح ان اسالك سؤالا بصفتك وزيرا وبصفتك ماركسيا ؟

وهل تذكر أن المسئولين الثلاثة حينما ابدوا دهشتهم من قولى لك انك ماركسى .

رددت انت عليهم بقـولك ، لمـاذا تندهشون ، اننى ماركسى لا استطيع ان انكر ذلك ، والا فأين اخفى الخمـس سنوات التى قضيتها فى السجن ؟

ولقد استطردت انا محددا لك السؤال :

انك وزير مسئول . فكيف يتمشى هذا مع قيام بعض الشيوعيين باعمال ضـد النظام الذى انت وزير فيه ؟ .. الا يجدر بك ان تحدد موقفك ، أما من الشيوعيين أو من الوزارة ؟ ..

وكان ردك مختصرا وحاسما ومقنعا فى نفس الوقت ، حيث قلت لى : وهل يمكن أن يحاسب شيخ الازهر عن الجريمة التى ارتكبها صالح سرية فى الكلية الفنية العسكرية ..

قلت لك : اذن انت لا تستطيع أن تسيطر على كل الماركسيين او الشيوعيين فى مصر ؟ وكان ردك ان قلت بالضبط اذكرك بهذه الواقعة وانت الان احد قادة تنظيم التجمع الوطنى التقدمى .. .. اما لماذا اذكرك بهذه الواقعة الان ، فهذا ما سوف اجيب عليه فى نهاية هذا الحديث ..

الرسالة الثانية :

السيد كمال رفعت ، احد قادة تنظيم التجمع الوطنى التقدمى والمتحدث باسم من يسمون انفسهم بالناصريين :

أعلم ويعلم المصريون جميعا أنك واحد من الضباط الاحرار الذين اشتركوا فى ثورة ٢٣ يوليو ، ولكن احب ان استوضحك بعض النقاط بمناسبة انضمامك الى تنظيم التجمع الوطنى التقدمى ، وأرجو ان احظى منك برد ، ان شئت لهذا الحـوار ان يستمر :

١ ــ من المعروف أنه فى مجال العمل السياسى يرتبط الافراد بفـــكر واحد او ايديولوجية واحدة ، فما هى اوجه

ذلك غرابة ، بل فى هذه الممارسة تطبيق لصميم مبدأ التحالف الوطنى ، والوحده الوطنيه .

وما الماركسيون فى قيادة التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى الا اقليه ضئيلة . ما هم الا اربعة ضمن هيئه قيادته تضم اربعين عضوا ، اى ١٠ ٪ . وكل من يريد يستطيع ان يتحقق من ذلك ، رغم ان حملات اليمين توحى بان السلطة لا تعترض على ان يتبوأوا ما يريدون من مراكز فى قيادة التنظيم ، حسب النسبة التى تحلو لهم . وكان هذا انطلاقا من **موقف مبدئى** ، وهو ان الفكر الماركسى لا ينبغى ان يحتل موقعا فى التنظيم لا يتناسب مع قوة هذا الفكر **اجتماعيا** ، بين جماهير الشعب المصرى ، والا كان ذلك **تسلطا مسيئا الى ثبات التحول الاجتماعى ، واستقرار المسيرة الثورية** ، وايضا مسيئا الى صورة الماركسية ، بتحميلها اعباء ومسئوليات لا تسمح قوتها الفعلية بين الجماهير ان توفى بها .

ان قرارات التنظيم لا تتوقف على رأى الماركسيين وحدهم . **ليس الماركسيون هم العنصر الوحيد أو الفاصل فى تقريرها** . بل هم تيار ضمن تيارات فكرية وايديولوجية اخرى تلتقى حول برنامج التجمع . وتصدر القرارات وفق ما تلتقى حوله **اغلبيه الاصوات** فى الهيئة القيادية . اى وفق الرأى الغالب بين التيارات السياسية الملتقية حول برنامج التجمع . **وهذا المنهج مدرسة لسلامة الممارسة الديموقراطية** التى طالما افتقدتها مصر ، بسبب بقاء التنظيم السياسى طويلا منبعثا « من أعلى » ، بكيان ومهام تتوقف على قرارات تصدر من اعلى الى ادنى ، دون ان يقابلها ما ينظم مطالب الجماهير وارادتها المنبثقة من ادنى الى أعلى .

التشابه بين الفكر الناصرى الذى تتحدث باسمه ، وبين الماركسيه التى يؤمن بها زميلاك فى التنظيم خالد محيى الدين واسماعيل صبرى عبد الله .

٢ ــ حينما قررت لجنة مستقبل العمل السياسى الاكتفاء بتنظيمات ثلاثة ، وكان هناك طلب باقامة تنظيم رابع باسم الناصرى برئاسة الاخ كمال أحمد ، لماذا رأيتم أن تنظيم التجمع الوطنى التقدمى هو أقرب التنظيمات الى فكركم فانضممتم اليه ؟

٣ ما هى أوجه الخلاف بين الناصرية وبين نظام الحكم الحالى فى مصر ، نظام ثورتى ٢٣ يوليو و ١٥ مايو .. واذا كانت هناك أوجه خلاف فمنذ متى بدا هذا الخلاف .. وقد كنت سفيرا لبلادك فى انجلترا حتى عام ١٩٧٤ ؟ .. واذا كان هذا الخلاف قائما قبل انتهاء عملك كسفير ، فلماذا قبلت أن تمثل نظاما يختلف عن ما تؤمن به ؟

٤ ــ اذا كانت الناصرية هى الخط السياسى للرئيس الراحل جمال عبد الناصر فماذا يعنى اختيار الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لانور السادات نائبا له ؟

الرسالة الثالثة :

الاخ الصديق خالد محيى الدين : أعتقد أنك تشعر أننى واحد من المعجبين بشخصيتك ، كما تعلم أننى اختلف معك فيما تؤمن به كاسلوب للعمل السياسى ، فانا لست ماركسيا ، لاننى أعتقد أن الماركسية لا تصلح كحل لمشاكلنا التى يعلم الجميع انها مشاكل معقدة لم تستطع صداقتنا بالاتحاد السوفيتى أن تحلها .

اننى ارجو ، وقد قرأت الان الرسالتين السابقتين أن توضح لى بعض النقاط التى استعصى على فهمها

١ ــ بالنسبة للواقعة التى ذكرت بها زميلك الدكتور اسماعيل صبرى .. فاننى أعتقد أن هذه الواقعة ، اعتراف بأن سيطرتكم على كل اليسار المصرى بما فيه الشيوعيون أمر غير ممكن .. فماذا تنوى أن تفعل ازاء التزامك بالمبادىء الثلاثة التى قامت التنظيمات على أساس الارتباط بها وهى حتمية الحل الاشتراكى ، الوحدة الوطنية .. السلام الاجتماعى ؟ .

فنحن نعلم أن الفكر الماركسى يؤمن بالصراع الطبقى ، فهل تخليت عن ايمانك بهذا المبدأ الرئيسى فى الفكر الماركسى نتيجة اختيارك مقررا لتنظيم التجميع الوطنى التقدمى ؟

واذا لم تكن قد تخليت عن ايمانك بالصراع الطبقى ، ألا ترى أن ذلك يتعارض مع التزامك بالسلام الاجتماعى ؟ وهل سيلتزم متطرفو اليسار المنضمون الى تنظيمكم وهم الشيوعيون بمبدأ السلام الاجتماعى ، وما هى وسيلتك فى كبح جماحهم اذا لم يلتزموا وحولوا السلام الاجتماعى الى صراع بين الطبقات ؟

٢ ــ حدث نقاش وتعليق بينى وبينك أمام لجنة مستقبل العمل السياسى نتيجة لما ذكره السيد المهندس سيد مرعى رئيس اللجنة من أن ثمة تشابها فى البرنامج الذى عرضته وبرنامج تنظيم مصر الذى عرضته أنا .. وعندما أنكرت أنت وجود هذا التشابه طلبت انا الكلمة وقلت أن التشابه موجود ودللت على ذلك بقراءة صفحتين من صفحات برنامجنا ، ثم ختمت تعليقى بأن قلت لك ، ان التشابه موجود الا اذا كان برنامجكم هذا مرحليا .

ولقد أثارتك هذه الكلمة ــ وأنت خفيف الظل حينما تستثار ــ وطلبت التعليق وأكدت أن البرنامج ليس مرحليا . فهل مازلت عند موقفك هذا ؟

٣ ــ لقد قرأت لك ترحيبا بانضمام السيد كمال رفعت الى تنظيمكم ، فهل كان هذا الترحيب تعبيرا عن تقديرك لشخصية كمال رفعت ، أم أنه كان لتشابه الفكر الماركسى مع أفكار من يلبسون قميص عبد الناصر ؟

أغلب ظنى أن ترحيبك بانضمام السيد كمال رفعت الى تنظيمكم كان مرجعه الاعجاب بشخصية كمال رفعت .. فاذا لم يكن ظنى هذا فى موضعه ، فان اعجابك هذا راجع الى وحدة الفكر الماركسى مع فكر من يسمون أنفسهم بالناصريين ، وهنا يصبح من حقى ، بل من حق أى مواطن أن يسألك أن توضح لنا الفكر الناصرى ؛ فالفكر الماركسى نحن نعرفه بوضوح ، ولكن ما هو الفكر الناصرى ، وما هى الناصرية على وجه التحديد ، وما أوجه التشابه بينها وبين الفكر الماركسى ؟

وبعد ، فنحن ما زلنا فى بداية الطريق ، واننى أعتقد أن مثل هذا الحوار مطلوب الان أكثر من أى وقت مضى من أجل نجاح التجربة الوليدة ، ومن يدرى لعلى بعد أن أتلقى ردا منك ومن زملائك ، لعلى أن أوجه اليك سؤالا آخر مستوضحا الفرق بين الماركسية والشيوعية .. والتجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ؟

اخبار اليوم ١٩٧٦/٧/٣

الممارسة .. والايديولوجية :

وهذا بدوره يجرنا الى مناقشة افتراض خاطىء ثان ورد فى ثنايا اسئلة السيد ابو وافية . **وهو ان اعتناق ايديولوجية معينة يتعارض مع ممارسة سياسية ، وتمثيل سياسى ، متميزين عن هذه الايديولوجية** . يطرح السيد ابو وافية للدكتور اسماعيل صبرى عبدالله السؤال : كيف استطعت ان تجمع بين صفتك كوزير للتخطيط ، وبين صفتك كماركسى ؟ ويطرح للسيد كمال رفعت : كيف قبلت ان تكون سفيرا لمصر فى لندن الى وقت قريب ، وانت الان منضم الى تيار ناصرى يرى الانضمام الى منبر اليسار ، وهو منبر معارض لمنبر الوسط الممثل لخط الدولة ؟

وافتراض **التعارض** الموجب للمساءلة ، على النحو الذى يطرحه السيد ابو وافية ، انما ينطوى بدوره على تعارض مع مبدئين طرحهما الرئيس السادات كدعائم للعمل السياسى : مبدأ « **الوحدة الوطنية** » ومبدأ « **السلام الاجتماعى** » .

فان صميم مبدأ « التحالف الوطنى » يفترض ان تلتقى فى الممارسة قوى وتيارات واتجاهات سياسية ذات فكريات وتأصيلات نظرية مختلفة ومتباينة . وما لم يقبل هذا المبدأ ، فلا بديل الا ان تتصادم التيارات السياسية بمقدار ما فى المجتمع من تيارات سياسية متميزة . ويتعذر تماما تحقيق « السلام الاجتماعى » ، ولا مجال اصلا لاجراء اى حوار هادف وبناء .

ان مبدأ ان يمثل المواطن رأيا لدى اخرين ، ليس بالضرورة هو رأيه ، **هو من صميم مبادىء الديموقراطية الاصيلة** ، ولا بديل له الا **الفوضى المطلقة ، او التسلط المطلق** الذى يحرم كل مواطن من حقه فى ان يكون له رأى أصلا . فحتى فى الحزب الشيوعى الذى يريد خصومه تصويره على انه مجرد تسلط ودكتاتورية ، هناك مبدأ اساسى مقر هو مبدأ « **المركزية الديموقراطية** » . ومعنى هذا المبدأ ان كل عضو فى التنظيم لا يعبر عن رأيه الا فى مستواه ، وفى داخل وحدته . ويتقرر التنفيذ وفق ما تقرره الاغلبية . وعلى العضو ان يدافع خارج التنظيم عن رأى الاغلبية ، اى عن الرأى الرسمى للتنظيم .

ليس هذا **حجرا** للرأى ، بل **تنظيم** لعملية اقناع الغير به وفرضه ، دون الاخلال فى الممارسة بموقف واحد ، وتنفيذ يتكاتف الجميع على انجازه . اذا ثبت خلال عملية الممارسة ان الرأى المنفذ خاطىء ، فهذا اقوى دليل لرجحان الرأى المعارض واقناع الغير به .

كان « تولياتى » ـ زعيم الحزب الشيوعى الايطالى ـ هو الوحيد الذى عارض قرار « ستالين » بفصل « تيتو » من الكومنفورم عام ١٩٤٨ . ومع ذلك كلفه الكومنفورم ليكون هو ممثله فى ابلاغ تيتو بفصله وقام بذلك فعلا . ويتضح الان ان اختلاف تيتو ـ وكذلك اختلاف تولياتى ـ مع ستالين كان يمس قضية تتصل بصميم اسس الاستراتيجية الشيوعية ، واسلوب ممارسة العمل الشيوعى ، رغم ان الكل كان ينضوى تحت راية الشيوعية .

اسوق هذه الامثلة لاصل الى نتيجة محددة ، وهى ان الممثل لرأى معين ، او لخط معين ، او لسياسة معينة ، لا ينبغى حتما ان يكون مؤمنا بكل جوانب هذه السياسة وموافقا عليها تمام الموافقة . ومن باب اولى ، فهو ليس مطالبا بأن يؤسس تمثيله لهذه السياسة على اسس ايديولوجية محددة سلفا . **هذه قاعدة تدخل فى صميم « لعبة الديموقراطية » ، ولا يتصور امكانية ممارستها أصلا اذا اغفلت .**

وطبيعى ان الالتزام بهذه القاعدة لا يعنى التمادى بها **الى حد ان تصل الى النقيض** ، اى ان تصل الامور الى حد ان يطالب المواطن بتمثيل رأى يتعارض مع رأيه ومعتقداته تعارضا اساسيا وجذريا . والا كان ذلك اهدارا لحرية الرأى ، ولاستقامة التصرف ، وللقدرة حتى على ان يوفق المواطن فى تمثيل رأى لا يتبناه ، والتعبير عنه تعبيرا صحيحا . **وللقاعدة اذن فى تطبيقها حدود . الا ان هذه الحدود لا تلغى القاعدة .**

كيف نحدد هذه الحدود ؟ هناك اطار عام للالتزام ، والاختلاف مباح داخل نطاق هذا الاطار العام . هذا الاطار العام قد يكون **خطا استراتيجيا** يستند الى عدد من **المبادىء العامة** . والاجتهاد فى تفسير اسباب الالتقاء حول هذه الاستراتيجية وحول هذه المبادىء قد يختلف ، وهذا مقبول . والاختلاف فى الاجتهاد وفى التأصيل ، هو تعبير عن وجود اختلافات ايديولوجية ، وعن شرعية الاختلاف ايديولوجيا .

فبوجه عام ، لا يجوز اتخاذ العقيدة السياسية ، والايديولوجية السياسية ، اساسا للمحاسبة ، وكمعيار لتبرير ـ أو عدم تبرير ـ الانتماء الى برنامج سياسى محدد : والى خط سياسى محدد ، ومنبر سياسى محدد . تماما كما لا يجوز اتخاذ العقيدة الدينية اساسا لهذه المحاسبة . فان التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى قد انضم اليه رجال دين ، تماما كما انضم اليه ماركسيون ، وانضم

اليه ناصريون . والكل حر فى تأصيل السبب الذى من اجله ينضم الى المنبر . وليس هذا موضوع محاسبة . انما اساس الانضمام ، هو قبول البرنامج ، واساس المحاسبة ، هو تطبيقه .

لذلك ، يتصور ان يوجد داخل التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ماركسيون . وكذلك ان يوجد خارجه ماركسيون ، لا يرون الانضمام اليه ويؤسسون عدم الانضمام انطلاقا من اجتهاد ماركسى . وهذا حق لهم . كما يتصور ان يوجد داخل التجمع الوطنى التقدمى عناصر وتيارات سياسية غير ماركسية . ولكنها جميعا تتبنى برنامج التجمع . وهى ملتزمة بتنفيذه .

من أى موقع يجرى هذا الحوار ؟

فى ضوء هذا كله ، تنهار البنية التى يؤسس عليها السيد ابو وافيه اسئلته . ويسقط كل مبرر لتوجيهها اصلا . فليس من معنى ان يوجه الى الدكتور اسماعيل صبرى السؤال : كيف تجمع بين صفتك كوزير للتخطيط ، وصفتك كماركسى ، وصفتك كعضو فى التجمع ؟ ولا مبرر ان يؤاخذ السيد كمال رفعت على انضمامه لمنبر ، به ماركسيون ، وهو الذى ينسب نفسه الى التيار الناصرى . كما ليس من معنى ان يسأل الناصريون : لماذا انتم فى المعارضة ؟ فان الرئيس السادات نفسه يقر ان صيغة التحالف لم يعد من الجائز ان تتمثل فى تنظيم واحد فقط ، بل اصبح ضروريا ان تتحقق الصيغة من خلال تعدد التنظيمات . وصيغة التحالف هى الناصرية فى التنظيم . **فلماذا ينبغى ان نفترض ان الناصرية لا وجود لها الا فى منبر الوسط فقط ؟**

والواقع ان السيد ابو وافية يعلم جيدا ان التنظيمات الثلاثة فى اطار مشروعية النظام . وما الصاق « تهمة الشيوعية » بمنبر اليسار ، ومحاولة قصره على الماركسيين فقط ، ما هذا الا « تكتيك انتخابى » قبيل الانتخابات القادمة لمجلس الشعب ، وما هذا الا محاولة لاجهاض كل معارضة ولاجهاض كل ممارسة حقيقية للديموقراطية . وما الحملة على الناصريين بالذات الا تعبيرا عن رفض فكرة ان يوجد فى مصر تيار ينتسب الى الناصرية ولا ينتسب الى المنبر الرسمى ، منبر السلطة . **وهذه فى الحقيقة مشاغل تتعدى نطاق « الحوار الهادىء والبناء » بين المنابر الثلاثة لتكشف عن هموم تشغل على ما يبدو منبر الوسط باعتباره لا يضع خطا فاصلا واضح المعالم بين صفته كمنبر سياسى ، وصلته بالسلطة السياسية .**

والواقع ان كل منطق اسئلة السيد ابو وافية يقوم على تناقض . فهو لا يملك ان ينكر ان التنظيمات الثلاثة مشروعة ، تستمد مشروعيتها من نظام الدولة . وهو فى نفس الوقت يصر على محاسبة منبر اليسار — والتضييق عليه — بدعوى انه منبر ماركسى ، ومنبر شيوعى ، والصاق « تهمة » به تستند الى الايحاء بان ما هو ماركسى وشيوعى هو بالحتم « غير مشروع » !

ولكن الذى يشغل السيد ابو وافية حقيقة — كما يبدو من سياق اسئلته — ليس هو شأن الماركسيين داخل التجمع بقدر ما هو قضية الماركسيين خارج التجمع .

وما يريد استكشافه من «حواره الهادف البناء» مع الماركسيين داخل التجمع هو فى الحقيقة مقدار قدرتهم على « السيطرة » على الماركسيين خارجه — ومن هنا تساؤلاته — على المستوى «النظرى» — عن احتمالات « الجمع » بين الالتزام بمبادىء الاتحاد الاشتراكى التى حددها الرئيس السادات : حتمية الحل الاشتراكى ، والوحدة الوطنية ، وبالذات مبدأ السلام الاجتماعى ، والمبدأ الماركسى المعروف حول صراع الطبقات .

وينبغى ان نقول للسيد ابو وافية بكل صراحة ان هذه القضية اذا شغلت التجمع ، فهى تشغله لاسباب تختلف كلية عن اسباب السيد ابو وافية ، وهى اسباب لا شأن للسيد ابو وافية بها ، لانه خارج التجمع ، ومعارض له .

نعم ، يهم التجمع ان يكون ممثلا صادقا لكل قوى اليسار — ومعنى ذلك ان التجمع حريص على ان ينضوى تحت لوائه كل ماركسى مصر الذين يقبلون برنامجه باعتبارهم تيارا له تاريخه فى النضال الوطنى والتحررى المصرى وباعتبارهم جزءا لا يتجزأ من اليسار المصرى . وهذا اهم ما يخص اعضاء التجمع وبناته ولا يعقل ان يكون هم معارضيه الذين لا يريدون له ان يتعاظم شأنه كتيار سياسى متميز داخل الجماهير .

اما الذى يشغل السيد ابو وافية ، فهو على ما يبدو شىء مختلف تماما . اذ يبدو متناقضا مع معارضته للتجمع التى لا يخيفها . فهو لا يريد للتجمع الانتشار والازدهار . وهو فى نفس الوقت يريد له القدرة على ضم كل الشيوعيين بل ان يقتصر وجوده على الشيوعيين فقط !

واستكشاف احتمالات ان يضم تنظيم سياسي مشروع كل من يعتنق عقيدة يشتبه فى مشروعية اهدافه ، ما هو فى الحقيقة الا محاولة « للاحتواء » ، و « لتوظيف » هذا التنظيم لاهداف لا تمت الى مبدأ الديموقراطية فى شىء ، بل هى اقرب الى حسابات من يضع نفسه فى موقع السلطة ، او يزعم لنفسه هذه الصفة . وهذا أمر لا صلة له مطلقا بحوار هادىء وبناء بين تنظيمات سياسية لها برامج مختلفة . وتنبثق السلطة السياسية منها . لا تنبثق هى من السلطة السياسية . وهذه مخالفة صارخة لتصريحات الرئيس السادات المتعددة بأنه يقف من المنابر الثلاث موقف الحياد ، انحيازا للتجربة وضمانا لازدهاره .

□□□□□□□□

بهذا المعنى لا يبدو ان السيد ابو وافية يوجه اسئلته لقادة التجمع الثلاث بصفته الشخصية ، او بصفته امينا لتنظيم مصر العربى الاشتراكى ، بل بصفته من يتحدث للسلطة . فهل قادة تنظيم مصر العربى الاشتراكى هم اكثر حرصا على تبوؤ مراكز للسلطة منهم حرصا على تمثيلهم اتجاها سياسيا بعينه ؟ اذا صح ذلك ، فلا نتصور ان مساهمتهم تكسب تجربة تعدد المنابر ما يتعدى حد التنظيم السياسى الذى يظل « علويا » ، ولا ان دعاويهم عن حرصهم على انطلاقة ديموقراطية جادة تنبثق من حركة الجماهير فعلا يمكن ان تؤخذ بجدية . ■